

عشر عبادي الذين يستهون بالقول فیتبوءن حسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

المعراج
١٣١٥

بؤنى الحكمة من بشاه ومن يؤن الحكمة فسد
أوني خيرا كثيرا وما يدعك إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوتي و « منارا » كمنار الطريق

٣٥ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ أئيران (خ ١) ١٢٩٧ هـ من ٦ أكتوبر ١٩١٨

رد المنار

عل الناقد لذكري المولد النبوي (*)

(الموضوع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استيعابهم لان الاقتصار في محل البيان يوم الحصر . ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استيعاب ذكركم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وإنما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكتابات دينه ومزايا ملته ، وذكركم من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب والعباس وحزرة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطلع على تاريخهم ان هؤلاء جميع ولد عبد المطلب ولذلك نقمنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحزرة

(*) تابع لما في ج ٩ وراجع النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

﴿ الموضوع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه واينذائهم ﴾
 أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والايذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والايذاء من زعماء قومه الذين أشقاهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التمييز بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك . ولهذا الاستعمال نظائر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وأما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قلةهم ؛ وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود الانبياء وعقر عمود للناقة . وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضوع العاشر والموضوع الحادي عشر

﴿ الموضوع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة ﴾
 أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحيايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قریش أحد ، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه للقيام بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك العصبية ، وغرضه ان يفرق قریشا مما ذكر ويسنده الى زعماء الشرك على الابهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أيها راجع القارئ يجد فيه ان قریشا اشتد ايدائهم للرسول (ص) بعد هلاك همه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر عليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط. وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصية لقريش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضوع الآتي =

﴿ الموضوع الحادي عشر - ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضمة نفر من قریش وبنی هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها أشعارا غزايا الاصطفاء التي ذكرتموها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) انفرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع، فالاولى ان يعطف يوم أحد على يوم حنين أو يكتفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيده بما سيأتي للجمع بين الروايات، ففي بعض الفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداءً بن لم يخلط بينهما: التفت عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الانصار: قالوا لبيك يا رسول الله نحن معك» الحديث، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل: أولتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا - الحديث - وفي رواية: أقرتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال: لكن رسول الله (ص) لم يفر... وفي رواية انه سئل: أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتم هوازن وأبوسفیان ابن الحارث أخذ برأس بخلته البيضاء» الحديث. وأبوسفیان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتمها فأسلم وحسن اسلامه. وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتية أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه وأوسفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر قال وابس يقبل نحوه أحد الاقتل . واختافت الروايات فيمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٥ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضمة وثلاثون من المهاجرين والباقيون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة ويروى عن العباس (رض) الله عنه انه أشد في ذلك نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فأقتسموا وعاشرنا وافي الحمام بنفسه لما مسه في الله لا يتوجع قال الحافظ في الفتح وامل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم وكان أول من ولى وانهم لم يطلقوا من قریش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كاهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فاراً من القتال بل منهم من كان متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى جهة أو فئة لاجل القتال، وبعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجمع بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يقيمونه من ورائه حيث توجه فتوجه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار قلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكثر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولاً منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وما لبث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قریش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطلقاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئاً فوجد بعضهم اذ كان ذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يفر الله لرسول الله (ص) يعطي قریشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فجمعهم (ص) في قبة أدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال قهواؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئاً وأما ناس من محدثي أسانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) « أني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أنألفهم — وفي رواية ان قريناً حديث عهد^(١) بجاهلية ومصيبة واني أردت أن أجبرهم وأنألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم؟ قالوا بلى . وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وقد هبون بالنبي (ص) الى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعباء الانصار شعار والناس دثاره النخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فبراجم في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصمدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لا يلون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم « الي عباد الله الي عباد الله » ولا يلوي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقناة الالجملة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن . وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتاً فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلوا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الا كبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداه أبي وأمي (ص) فالسابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا تنافي بين ، وياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) مجتوب (أي مترس) عليه بمحفلة وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واختلف بعضهم ان أصله حديثه عهد

رجلا رابعا شديدا النزاع (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمرمه
بجبة من النيل فيقول «أثرها لا بي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر إلى القوم
فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف بصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك،
ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما لمشترتان أرى خدم
سوقهما (١) تنقران القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم (٢) ثم ترجعان فتسلانها
ثم تخبثان تفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة أما مرتين وأما ثلاثا
وفي حديثه عند مسلم أنه (ص) أفرد في سبمة من الانصار ورجلين من قريش
يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر إذا
ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع)
فرايت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني
يكون رجل من قومي ويغني وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فاتبيننا
إلى رسول الله (ص) فقال «دوبكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت
أصبعه النخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص)
وهو يقول له «أرم فداك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم
الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في
الفداء . وروى عن أبي عثمان التهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك
الايام التي يقاتل فيبن غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي
وقاص وهما حدثنا أبا عثمان التهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن
أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تمنحت فقلت
اذود عن نفسي فاما أن أهبو واما أن أسهه فاذا رجل مخمر وجهه وقد كاد المشركون
أن يركبوه فلأيديه من المصهي فرماه .. واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله
عن الرجل فقال لي يا سعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقلت وكأني لم بصبي شيء
من الاذى وأجلستني أمامه وجمعت أرمي فذكر الحديث اه من الفتح وفيه اختصار
وقد قبله دحلان في سيرته عن المستدرک بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلاخيل وفيل الخدمة أصل الساق . والسوق جمع ساق

(٢) أي ترسان قرب الماء بمخفة وسرعة على ظهورهما وتستيان الجرعى بسبه في أفواههم

أن الرجل المحمر لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل ففعل ذلك مراراً. فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان النهدي من الفتح: وعند ابن هانئ من مرسل المطلب بن عبد الله بن حنطب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلاً من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزوية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد وبقي معه احد عشر رجلاً من الانصار وطلحة^(١) واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلاً ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان النهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فداك أبي وأمي) وان المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتمل ان يكون استمر مشتقلاً بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعد هذا. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة، ومن الانصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن العصة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة بدل الاخيرين، فان ثبت حمل على أهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولاً فأولاً والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فعلم مما تقدم ان منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم أحد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

(١) هو ابن عبيد الله وملخص تمة الحديث أن النبي «ص» قال لا لحقهم المشركون وهو سعد في الجبل «ألا أحد لهؤلاء؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله»، فقال «كأنت باطلحه» فاستأذنه رجل من الانصار فأذنه فقاتل حتى قتل. فاعاد «ص» القول فلما طلحة فقال له كما قال أولاً فاستأذنه أنصاري آخر فأذنه، وما زال يعيد ذلك ويحبس طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله. وفي رواية شلت أصبعه أو أصابعه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحاً

الحظ العظيم منها، وأنه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه
ورضي عنهم أجمعين

﴿الموضع ١٢١ - مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ﴾

قال الناقد: ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء
التبليغ عشر سنين والمشهور أنها بضع عشرة سنة اه
ونقول ان هذه العبارة أظهر هفواته وأخر بها فذكرناه هو المنصوص في كتب
الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد. وإنما وقع الخلاف في
الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة
وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وقترته وبين الأمر بالتبليغ ثلاث سنين
والمدة من بدء الأمر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد
في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير. فهل
بلغ من الناقد الفاضل التعصب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالرؤيا
الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجمالياً نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعه عشر عاماً
من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل ان تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وان
تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٢ سنة او من المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب
في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في
ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة هن ٦٣ سنة، فسبحان من لا يندى ولا يذهل
وقد أضاف الناقد الى هذا الموضوع مسألة أخرى فادعى اننا لم نذكر في
الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنمة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع
العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاء. ونحجب
بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لآخينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع
لشرح حديث الاصطفاء ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك
من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وأما شرحنا الحديث شرحاً لم نطلع لاحد على مثله
ليبان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية «الرد بنية»